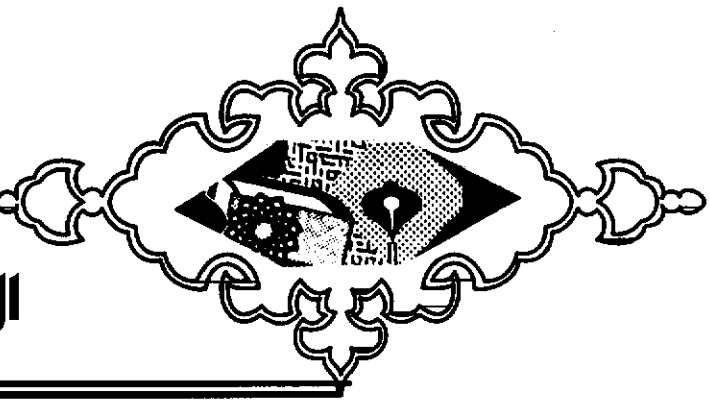

# المعركة بين الاستكبار و الاستضعاف في القرآن الكريم

رضيه طهمازى ـ مدرّس

القسم الثاني

## ثاني معركة تاريخية – بداية المعارك التاريخية في العالم السفلي

و ينتقل الصراع من العالم العلوي الى العالم السفلي، ...

حيث يخبرنا القران الكريم عن أوّل حصيلة لاحتدام جبهة الحق مع الباطل، و ذلك من خلال قصة ابني آدم﴿عليه السلام﴾، أول خليفة الله في الارض، و الذي يعرفها كل قارىء للقرآن الكريم. "واتل عليهم بنأ ابني ادم بالحق اذقرّبا قربانا فتُقبّل من أحدهما و لم يُتقبّل من الاخر، قال لأقتلنّك، قال إنّما يتقبل الله من المتقين. لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنّي أخاف الله ربّ العالمين. إني أريد أن تبوء بإثمي و إثمك فتكون من أصاحب النار و ذلك جزاؤ الظالمين. فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين"[1]

فالمعنى واضح، و لايحتاج الى تبيين، و لكن حصيلة تلك المعركه كانت أن وجدت سنّة الله في الارض، في عباده، فوجدت هذه المعادلة:

"من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أوفسادٍ في الارض فكأنّما قتل الناس جميعاً و من أحياها فكأنّما أحيا الناس جميعاً و لقد جاءتهم رسلنا بالبيّنٰت ثم إنّ كثيراً منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون"[2]

سنّة الله في الذين خلوا من قبل و لن تجد لسنّة الله تبديلاً" و لن تجد لسنّة الله تحويلا.

و قد جرت تلك السنّة – سنّة العباد في الارض – و سنّة الله فيها، و لاتزال تجري مادام الشيطان موجود و الانسان موجود أيضا، فتوالت تلك الحالات و تكررت على مرّ العصور و الازمان، و في كل عصر و مصر، ... فمن استكبار قوم نوح﴿عليه السلام﴾ على نبيّهم، و من استكبار الفراعنه و منهم نمرود على النّبي خليل الله ابراهيم﴿عليه السلام﴾، و فرعون الفراعنة على النّبي موسى﴿عليه السلام﴾، و جميع الأنبياء و الأولياء الصالحين و الصديقين من عباده، و لحديومنا هذا، و سيبق الى أن يمنّ الله على عباده المستضعفين، كلهم تعرّضوا لمواجهة الاستكبار و المستكبرين و الطغاة من عباده المستكبرين الذين يمثلون جبهة الباطل و الضلال... و كلّهم (المستكبرين) أخذهم الله، بعد إنذارهم، أخذ عزيز مقتدر "...فاستكبروا في الارض و ماكانوا سٰبقين. فكلاً" أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً و منهم من أخذته الصيحة و منهم من خسفنا به الارض و منهم من أغرقنا و ما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون"[3]، حيث أنّ الكبر و العلو و الجبروت و الكبرياء و جميع صفات القوة و الاقتدار و الملك و ... هي لله وحده:

"هو الله لا إله الاّ هو الملك القدّوس السّلٰم المؤمن المهيمن العزيز الجبّار

---

١) المائده، ٢٧-٣٠

٢) المائده ، ٣٠

٣) العنكبوت، ٣٩، ٤٠

المتكبّر سبحان الله عمّا يشركون"[١]

## معركة الخلافة و الشهاده، و انتصار الشهاده دائماً

إنه حصيلة إباء و استكبار ابليس، و أخذ العهد من ربّه على نفسه لاغواء بني ادم، إلاّ عباد الله المخلصين، الذين استثناهم ربّهم، أن ظهرت جبهتان في بني‌ادم، جبهة اتبعت الشيطان و أولياءه - حزب الشيطان - وجبهة جعل الله لهم قيادة رشيدة تمثّلت في الانبياء و المرسلين و الاولياء الصّالحين ـ الائمة الاطهار عليهم السلام - (حزب الله)،...

## وجود خط الشهادة من نِعَم الله على عباده لتكاملهم :

و من هنا علّم الله تعالى ادم الاسماء كلّها، و أثبت للملائكه من خلال المقارنه بينه و بينهم، أن هذا الكائن الحرّ الذي اجتباه الله للخلافه، قابل للتعليم و التنمية الربانيه، و أن الله تعالى قد وضع له قانون تكامله من خلال خط أخر يجب أن يسير إلى جانب خط الخلافه، و هو خط الشهادة الذي يمثّل القياده الربانيه و التوجيه الرباني على الارض... .

إن الملائكه لاحظوا خط الخلافة بصورة منفصلة عن الخط المكمّل له بالضرورة ، فثارت مخاوفهم، و أما الخطه الربانية فكانت قد وضعت خطين جنباً الى جنب: أحدهما خط الخلافه و الاخر خط الشهاده الذي يجسّده شهيد ربّاني يحمل الى الناس هدى الله و يعمل من أجل تحصينهم من الانحراف، و هو الخط الذي أشار اليه القرآن الكريم في قوله تعالى:

"قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمّا يأتينّكم منّي هدىً فمن تبع هداي فلاخوف عليهم و لا هم يحزنون")[٢] [٣]

## هدى الله: خط الشهادة ـ النبوّة ـ لحفظ فطرة خليفته من الانحراف، و لمواجهة و دحر الاستكبار:

"كان الناس أمة واحدة فبعث الله النّبيين مبشرين و منذرين و أنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه..."[٤]

و قد جاء في التفسير عن الامام الباقر﴿عليه السلام﴾: أن الناس كانوا أمة واحدة على فطرة الله فبعث الله النبيين.

أقول: كان الناس، النوع البشري، أمة واحدة فطرياً، و كما أخذ الله شهادتهم ـ في عالم الذر ـ قال : ألست بربكم؟ قالوا: بلى، شهدنا... و لكن بعد إباء ابليس و استكباره، و أخذه العهد على نفسه لاغواء بني ءادم، كان من لطف الله و ذاته الالهيه إن يجعل لخليفته شهيداً ربّانيّا يحفظه من الاغواء و الانحراف عن الصراط المستقيم، و بذلك كانت ضرورة النّبوّة.

يعرف في ضوء النصوص، أنّ الجماعة البشريه بدأت خلافتها على الارض بوصفها أمة، و أنشأت المجتمع الموحّد، مجتمع التوحيد، بركائزه المتقدمه، و كان الاساس الاولي لتلك الوحدة و لهذه الركائز الفطرة، لأن الركائز التي يقوم عليها مجتمع التوحيد و تمثل أساس الخلافه على‌الارض كلها ذات جذور في فطرة الانسان.

"فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرةالله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن اكثر الناس لايعلمون. منيبين اليه و اتقوه و أقيموا الصلاة و لاتكونوا من المشركين. من الذين فرّقوا دينهم و كانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون"[٥]

فالايمان بالله الواحد، و رفض كلّ ألوان الشرك و الطاغوت، و وحدة الهدف و المصلحة و المسير معالم الفطرة الانسانية، و أيّ شرك و جبروت، و أيّ تناقض و تفرّق، فهو انحراف عن الفطرة.

و هكذا شكّلت الفطرة في البدايه أساساً لإقامة مجتمع التوحيد، و كان الانسان ـ ممثلاً في الجماعة الانسانية كلها ـ يمارس خلافة الله على الارض و فقاً لذلك، و كان خط الشهادة قائماً الى جانب خط الخلافه ممثّلا في الأنبياء، و كان دور الانبياء في تلك المرحله، ممارسة مهمّة الشهيد الربّانى، مهمة الهادي و الموجّه و الرقيب، كما يفهم من النّص القرآني الثاني، إذ اعتبر بعثة الانبياء الذين يحكمون بين الناس في فتره تالية للمرحله التي كان الناس فيها أمّة واحدة، ففي هذه المرحله إذن كانت الخلافه و الحكم للجماعه البشريه نفسها و كان خط الشهادة للاشراف و التوجه و التدخل اذا

---

١) الحشر/٢٣

٢) البقره/٣٨

٣) خلافة الانسان و شهادة الانبياء ـ الشهيد أية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر،ص١٢

٤) بقره، ٢١٣

٥) الروم / ٣٠-٣٢

تطلّب الامر.

## ظهور طبقات المجتمع

و بعد أن مرّت على البشرية فترة من الزمن و هي تمارس خلافتها من خلال مجتمع موحّد، تحققت نبوءة الملائكه و بدأ الاستقلال و التناقض في المصالح و التنافس على السيطرة و التملّك، و ظهر الفساد و سفك الدماء، و ذلك لأنّ التجربة الاجتماعيه نفسها و ممارسة العمل على الارض نمّت خبرات الافراد و وسّعت إمكاناتهم، فبرزت ألوان التفاوت بين مواهبهم و قابلياتهم و نجم عن هذا التفاوت اختلاف مواقعهم على الساحة الاجتماعية، و أتاح ذلك فرص الاستغلال لمن حظي بالموقع الاقوى، و انقسم المجتمع بسبب ذلك الى أقوياء و ضعفاء و متوسطين، و بالتالي الى: مستغِلين و مُستضعفين، و فقدت الجماعة البشرية بذلك وحدتها الفطرية، و صدق قول الله تعالى في آية تحمّل الانسان للامانة التي أشفقت السماوات و الارض من حملها، اذ قال جلّ وعلا:

"... و حملها الانسان، أنه كان ظلوماً جهولاً" [1]

و على هذا الاساس، لم يعد ـ في المنطق الرباني للاقوياء المستغلين موقع في الخلافة العامة للجماعة البشريه، لأن هذه الخلافة أمانة ـ كما تقدم ـ و من خان الامانة لم يعد أميناً، و أما المستضعفون فمن يواكب منهم الظلم و يسير في اتجاهه و يخضع للاستغلال يعتبر في المفهوم القرآني ظالماً لنفسه، و بالتالي خائناً لامانته، فلايكون جديراً بالخلافة....

## المستضعف الحقيقي

و يظل في موقعه من الخلافة اولئك المستضعفون الذين لم يظلموا انفسهم و لم يستسلموا للظلم، فهؤلاء هم الورثة الشرعيون للجماعة البشرية في خلافتها كما قال الله سبحانه و تعالى:

"و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الارض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين" [2]

## مجتمع اليوم، كيف يبرّر الانحراف؟!

و لكن المجتمع قد غرق في هذه اللحظه في ألوان الاستغلال، و سيطرت عليه علاقات اجتماعيه تجسد هذه الالوان، و مشاعر نفسيه تبرّر الانحراف عن الفطرة، و أساطير فكرية و وثنية تمزّق المجتمع شيعاً و أحزاباً، و لم يبق مستضعف غير ظالم لنفسه الا عدد قليل، مغلوب على أمره [3]

## الكبر و الكبرياء للّه المتعال وحده، و اللعنة على من نازعه و ينازعه فيه.

ان خير من وصف صفات الله تعالى، بعده سبحانه في القرآن الكريم، و على لسان رسوله الكريم،... هو إمام المتقين مولى الموحدّين و وصي رسول رب العالمين،... الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، حيث جاء في خطبته الـ ۱۹۰ :

"الحمد لله الذي لبس العزّ و الكبرياء و اختارهما لنفسه دون خلقه، و جعلها حمى و حرماً على غيره، و اصطفاهما لجلاله، و جعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده. ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه، و هو العالم بمضمرات القلوب، و محجوبات الغيوب: (إنّي خالق بشراً من طين فإذا سوّيته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلّهم أجمعون الاّ ابليس) اعترضته الحميّة فافتخر على أدم بخلقه، و تعصّب عليه لأصله. فعدو الله إمام المتعصّبين، و سلف المستكبرين الذي وضع أساس العصبية، و نازع الله رداء الجبريّة، و ادّرع لباس التعزّز، و خلع قناع التذلل، ألا ترون كيف صغّره الله بتكبرّه، و وضعه بترفّعه، فجعله في الدنيا مدحورا، و أعدّ له في الاخرة سعيرا...؟" [4]

"... فاعتبروا بما أصاب الامم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته، و وقائعه و مثلاته... و استعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر) [5]

## الاستكبار مذموم دائماً، و لكن التكبّر مذموم في غيرالله تعالى فقط

قوله تعالى: "و للّه يسجد ما في السموات و ما في الارض من دابة و

---

۱) الأحزاب /۷۲

۲) القصص / ۵

۳) خلافة الانسان و...، الشهيد الصدر، ص۲۳-۲۴

۴) في ظلال نهج البلاغه. خطبه ۱۹۰، ج ۳، ص۱۰۷، شرح محمد جواد مغنيه

۵) النهج ـ خطبه ۱۹۲

الملائكه و هم لا يستكبرون"[١]

**١- الفرق بين الاستكبار و التكبّر:**

(الاستكبار و التكبّر من الانسان أن يعدّ نفسه كبيرا و يضعه موضع الكبر، و ليس به، و لذلك يعد في الرذائل ... لكن التكبر ربما يطلق على ما لله سبحانه من الكبرياء بالحق، و هو الكبير المتعال، فهو تعالى كبير متكبّر و ليس يقال: مستكبر، و لعل ذلك كذلك اعتباراً باللفظ،...

فإنّ الاستكبار بحسب أصل هيئته طلب الكبر، و لازمه أن لايكون ذلك حاصلاً للطالب من نفسه، و إنّما يطلب الكبر و العلو على غيره دعوى فكان مذموماً...

و أما التكبّر فهو الظهور بالكبرياء، سواء كانت له في نفسه كما لله سبحانه و هو التكبر الحق، أو لم يكن له الاّ دعوى و غروراً كما في غيره.

**٢- الغفلة و الذهول سبب استكبار العبد**

و أما استكبار المخلوق على الخالق فلايتمّ الاّ مع دعوى المخلوق الاستقلال و الغنى لنفسه، و ذهوله عن مقام ربّه، فإنّ النسبة بين العبد و ربّه نسبة الذلة و العزّة، و الفقر و الغنى، فمالم يغفل العبد عن هذه النسبة و لم يذهل عن مشاهدة مقام ربّه، لم يعقل استكباره على ربّه، فان الصغير الوضيع القائم امام الكبير المتعالي و هو يشاهد صغار نفسه و ذلّته و كبرياء من هو أمامه و عزّته لايتيسر له ان يرى لنفسه كبرياء و عزّ إلاّ أن يأخذه غفلة و ذهول.

**٣- الكبرياء و العلو كلّه للّه**

و إذا كان الكبرياء و العلو للّه جميعاً، فدعواه الكبرياء و العلو تغلّب منه على ربّه و غصب منه لمقامه و استكبار و استعلاء عليه دعوى، و هذا هو الاستكبار بحسب الذات و يتبعه الاستكبار بحسب الفعل، و هو ان لايأتمر بأمره و لاينتهي عن نهيه، فإنّه مالم ير لنفسه ارادة مستقلة قبال الارادة الالهية مغايره لها، لم ير لنفسه ان يخالفه في أمره و نهيه

و على هذا فقوله تعالى: "وهم لايستكبرون" في تعريف الملائكه، و الكلام في سياق العبوديّة، دليل على أنّهم لايستكبرون على ربّهم، فلايغفلون عنه تعالى و لا يذهلون عن الشعور بمقامه و مشاهدته:

و قد أطلق نفي الاستكبار من غير أن يقيّده بما بحسب الذات او بحسب الفعل، فأفاد أنّهم لايستكبرون عليه في ذات و لافعل، أي لا يغفلون عنه سبحانه و لايستنكفون عن عبادته و لا يخالفون عن أمره، و لبيان هذا الاطلاق و الشمول عقّبه بياناً بقوله: "يخافون ربّهم من فوقهم و يفعلون ما يؤمرون" و أشار بذلك إلى نفي الاستكبار عنهم ذاتاً و فعلا)[٢]

**مآل و عاقبة أمر المستكبرين في الدنيا:**

قال اللّه تعالى: "أخرج فما يكون لك - يعني ما ينبغي لك ان تتكبّر فيها فاخرج إنّك من الصّاغرين - و الصّغار هو الذل"[٣]

(إنّ اللّه يعلم ما يسرّون و ما يعلنون، و هو كناية و تهديد بالجزاء السيء، أي أنّه يعلم ما يخفون من أعمالم و ما يظهرونه، فسيجزيهم بما عملوا و يؤاخذهم على ما انكروا و استكبروا، إنّه لايحبّ المستكبرين)[٤]

"أولم يسيروا هؤلاء - المستكبرين- الذين أرسلناك إليهم "في الارض فينظروا" نظر تفكّر و اعتبار "كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم" من الأمم الدارجه المكذّبين لرسلهم "كانوا أشدّ منهم قوة" أيّ قدرة و تمكّناً و سلطه و "آثارا" كالمدائن الحصينه و القلاع المنيعه و القصور العاليه المشيّدة "في الارض فأخذهم الله بذنوبهم" و أهلكهم بأعمالهم" و ما كان لهم من الله من واق" يقيهم و حافظ يحفظهم)[٥]

"... فلما جاءهم نذير مازادهم إلاّ نفورا و استكبارا في الارض و مكرالسيء و لايحيق المكرالسيء إلاّ بأهله، فهل ينظرون إلاّ سنّت الأوّلين فلن تجد لسنّت اللّه تبديلا و لن تجد لسنّت اللّه تحويل"[٦]

**الكبر بدء الذنوب، و لا يدخل الجنّه من كان في قلبه مثقال حبة من خردل كبر:**

(قال قتادة، في قوله تعالى "فسجدوا إلاّ ابليس أبى و استكبر..."؛ حسد عدو اللّه إبليسُ آدمَ﴿عليه السلام﴾ على ما أعطاه من الكرامه و قال : أنا ناري و هذا طيني، و كان بدء الذنوب الكبر، استكبر عدو الله ان يسجد لادم عليه السلام، قلت: و

---

١) النحل / ٤٩

٢) تفسير الميزان - ج ١٠، ص ٢١٦-٢٦٧

٣) تفسير القران العظيم - ابوالفداء، ج ١، ص ٧٠

٤) تفسير الميزان، ج١٢، ص ٢٢٨

٥) تفسير الميزان، ج ١٧، ص ٣٢٦

٦) فاطر / ٤٣

قد ثبت في الصحيح: "لايدخل الجنه من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من كبر" و قد كان في قلب ابليس من الكبر ـ و الكفر ـ و العناد ما اقتضى طرده و إبعاده عن جناب الرحمة و حضرة القدس. قال بعض المعربين: و كان من الكافرين، أي: و صار من الكافرين بسبب امتناعه، كما قال " فكان من المغرقين"، و قال: "فتكونا من الظالمين)[1]

**مآل المستكبرين في الاخرة:**

"إن الذين كذّبوا بآياتنا و استكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السماء و لا يدخلون الجنّه حتى يلج الجمل في سمّ الخياط ..."[2]

(تصوّر الوقوف مدهش أمام هذا المشهد العجيب .. مشهد الجمل تجاه ثقب الابرة، فحين يفتح ذلك الثقب الصغير لمرور الجمل الكبير، فانتظر حينئذ ـ و حينئذ فقط ـ أن تفتح أبواب السماء لهؤلاء المكذّبين، فتقبل دعاءهم أوتوبتهم ـ و قد فات الأوان ـ و أن يدخلوا الى جنات النعيم! .. أما الان، و الى أن يلج الجمل في سمّ الخياط، فهم هنا في النار، التي تداركوها جميعاً و تلاحقوا، و تلاوموافيها و تلاعنوا، و طلب بعضهم لبعض سوء الجزاء، و نالوا جميعاً ما طلبه الاولياء! "و كذلك نجزي المجرمين"

ثم تصوّر الآية هيئتهم في النار: "لهم من جهنم مهاد و من فوقهم غواش، و كذلك نجزي الظّلمين")[3][4]

**الاستضعاف و المستضعف (من خلال القرآن الكريم)**

"إنّ الذين توفّهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الارض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم و ساءت مصيرا"[5]

"إلا المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان لايستطيعون حيلة و لايهتدون سبيلا"[6]

"و نريد انّ نمنّ على الذين استضعفوا في الارض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين"[7]

"واذكروا إذ انتم مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطّفكم الناس فآواكم و أيّدكم بنصره و رزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون"[8]

قبل أن ندخل في تفصيل الموضوع، من خلال تفسير الايات، يجب أن نعرف معنى الاستضعاف، و من هو المستضعف الذي يذكره القرآن الكريم في آياته الشريفه...، فمن خلال تفحّصنا لهذه الايات الثلاث أعلاه، و تدقيقنالها، نرى أنّ للمستضعف أوصاف و معان مختلفه...، حيث أنّ المستضعف الذي يكون مورد رضى الله سبحانه، هو المستضعف الحقيقي الذي يذكره الله سبحانه في سورة القصص / ۵، امّا المستضعف الذى يكون ضعفه و استكانته سبباً لتجرّؤ المستكبر و تطاوله عليه، فيكون هو الذي أعان الظالم على ظلمه، (إنّ ظُلمَ الظالم ليس بأسوأ عند الله من صبر المظلوم على الظلم، .. إنّ قتل المظلوم في سبيل حقّه شهادة، و الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، .. و هل جرّأ الظالم على الظلم إلاّ سكوت المظلوم عنه؟، و لو علم الظالم أنّ بين جوانح المظلوم نفساً حسينيّة لتحاماه)[9]

**ما الهدف من: اعتبار المستضعف ظالم لنفسه، و تعذيبه؟**

(إنّ الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ... قالوا: كنا مستضعفين ..."[10]

"ان القرآن يعالج نفوساً بشرية، و يهدف الى استجاشة عناصر الخير و المروءه، و العزة فيها، و الى مطاردة عوامل الضعف و الشحّ و الحرص و الثقلة... لذلك يرسم هذا المشهد ،... ان يصوّر حقيقة، و لكنه يستخدم هذه الحقيقه في موضعها أحسن استخدام في علاج النفس البشرية...

و مشهد الاحتضار بذاته مشهد ترتجف له النفس البشريه، و تتحفزّ لتصوّر ما فيه . و إظهار الملائكه في المشهد يزيد النفس ارتجافاً و تحفّزاً و حساسية .

و هم ـ القاعدون ـ ظالمو أنفسهم. اذيكفي أن يتصوّر المرء نفسه و الملائكة تتوفاه و هو ظالم لنفسه؛ و ليس أمامه من

---

۱) الميزان، ج ۱، ص ۷۱-۷۲

۲) الاعراف / ۴۰

۳) الاعراف / ۴۱

۴) تفسير في ظلال القرآن ـ للسيد قطب : ج ۸، ص ۵۱۶

۵) النساء۹۷/

۶) النساء/ ۹۸

۷) القصص /۵

۸) الانفال / ۲۶

۹) التفسير الكاشف، ج ۴، ص ۴۳۶-۴۳۷

۱۰) النساء/ ۹۷

فرصة اخرى لانصاف نفسه، فهذه هي اللحظه الاخيرة..

و لكن الملائكه لا يتوفونهم - ظالمي انفسهم - في صمت، بل يقلّبون ما ضيهم، و يستنكرون أمرهم! و يسألونهم: فيم أضاعوا أيّامهم و لياليهم ؟ و ما ذا كان شغلهم و همّهم في الدنيا؟ " قالوا : فيم كنتم؟"...

فان ما كانوا فيه ضياع في ضياع، كأن لم يكن لهم شغل الاّ هذا الضياع!

و يجيب هؤلاء المحتضرون، في لحظه الاحتضار، على هذا الاستنكار جواباً كله مذلة، و يحسبونه معذرة على ما فيه من مذلة. " قالوا: كنا مستضعفين في الارض )[1]

**الاستضعاف**

إنّ الذين يتمكنون من الهجره و الخروج من مجال الاستضعاف ، لا يمكنهم ان يجعلوا الاستضعاف عذراً لعدم تديّنهم:

قوله تعالى: " قالوا كنا مستضعفين في الارض..." كان سؤال الملائكة (فيم كنتم) سؤالا" عن الحال الذي كانوا يعيشون فيه من الدين، و لم يكن هؤلاء المسؤولون على حال يعتد به من جهة الدين ، فأجابوا بوضع السبب موضع المسبب، و هو أنّهم كانوا يعيشون في أرض لا يتمكنون فيها من التلبّس بالدين لكون أهل الارض مشركين أقوياء، فاستضعفوهم، فحالوا بينهم وبين الأخذ بشرايع الدين و العمل بها.

...كذّبتهم الملائكه في دعوى الاستضعاف بأنّ الارض، أرض الله، كانت أوسع ممّا وقعوا فيه و لزموه، و كان يمكنهم ان يخرجوا من حومة الاستضعاف بالمهاجره، فهم لم يكونوا بمستضعفين حقيقه لوجود قدرتهم على الخروج من قيد الاستضعاف، و إنّما اختاروا هذا الحال بسوء إختيارهم.

فقوله تعالى: "ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها" أي تهاجروا من بعضها الى بعضها، و لولا فرض السعة لكان يقال: فتهاجروا منها.

ثم حكم الله في حقّهم بعد ايراد المساءلة بقوله "فأولئك مأواهم جهنم و ساءت مصيرا".

ثم عذر الله أهل الصدق فقال: "إلاّ المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان" الاستثناء منقطع، و في تفصيل بيانهم بالرجال و النساء و الولدان ايضاح للحكم الالهي و رفع للّبس. لو خرجوا لهلكوا فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم.)[2]

(إنّ الجهل بمعارف الدين ـ اذا كان عن قصور و ضعف ليس فيه صنع للانسان ـ الجاهل، كان عذرا" عند الله سبحانه؛ حيث إنّ الله سبحانه يعدّ الجهل بالدين و كلّ ممنوعية عن إقامة شعائر الدين ظلماً لاينالله العفو الالهي، ثم يستثني من ذلك المستضعفين، و يقبل منهم معذرتهم بالاستضعاف ثم يعرفهم بما يعمّهم و غيرهم من الوصف، و هو عدم تمكّنهم ممّا يدفعون به المحذور عن انفسهم، و هذا المعنى كما يتحقّق فيمن احيط به في الأرض لا سبيل فيها الى تلقّي معارف الدين لعدم وجود عالم بها، خبير بتفاصيلها، أو لاسبيل الى العمل بمقتضى تلك المعارف للتشديد فيه بما لا يطاق من العذاب مع عدم الاستطاعة من الخروج و الهجره الى دار الاسلام و الالتحاق بالمسلمين لضعف في الفكر او لمرض او نقص في البدن أو لفقر مالي و نحو ذلك، كذلك يتحقق فيمن لم ينتقل ذهنه الى حق ثابت في المعارف الدينيه، و لم يهتد فكره اليه مع كونه ممن لايعاند الحق و لا يستكبر عنه أصلا، بل لو ظهر عنده حق اتبعه، لكن خفي عنه الحق لشيء من العوامل المختلفه الموجبه لذلك.

فهذا مستضعف لا يستطيع حيلة و لا يهتدي سبيلا، لا لأنّه أعيت به المذاهب لكونه احيط به من جهه اعداء الحق و الدين بالسيف و السوط، بل انّما استضعفته عوامل اخرى سلّطت عليه الغفله، و لا قدرة مع الغفلة، و لا سبيل مع هذا الجهل.

و اذا كان جهله غير مستند الى تقصيره فيه او في شي من مقدماته، بل الى عوامل خارجه عن اختياره أوجبت له الجهل أو الغفلة أو ترك العمل لم يستند التّرك الى اختياره، و لم يعد فاعلا للمعصية متعمدا في المخالفه، مستكبراً عن الحق، جاحدا له، فله ما كسب و عليه ما اكتسب، و اذا لم يكسب فلا له و لا عليه.

**اذن، فمن هو المستضعف من خلال هذه الاية؟**

و من هنا يظهر إنّ المستضعف صفر الكف، لاشيء له و لا عليه لعدم كسبه امراً، بل امره الى ربه، كما هو ظاهر قوله

---

١)تفسير في ظلال القرآن ـ للسيد قطب ، ج ٥، ص ٤٩٩

٢) تفسير الميزان ـ العلامة الطباطبائي (ره) ، ج ٥، ص ٤٩-٥٣

تعالی بعد آیه المستضعفین "فاولئك عسیٰ الله أن یعفو عنهم، و کان الله عفوا غفورا" و قوله تعالی "و آخرون مرجون لأمر الله إمّا یعذبهم و إمّا یتوب علیهم و الله علیم حکیم"، و رحمته سبقت غضبه...)[1]

**خیر عباد اللّه المستضعفون**

(ـ ألا أخبرکم عن ملوك أهل الجنّة؟ کل ضعیف مستضعف . (د) کنز، خ ۵۹۴۳، ۵۹۴۵)

ـ الا أخبرکم بشرّ عباداللـه؟ الفظّ المتکبّر، إلاّ اخبرکم بخیر عباداللـه؟ الضعیف المستضعف... (د) کنز، خ ۵۹۴۴

ـ (في صفة الانبیاء) : کانوا قوماً مستضعفین قد اختبرهم الله بالمخمصة، و ابتلاهم بالمجهدة، و امتحنهم بالمخاوف، و محّضهم بالمکاره، فلا تعتبروا الرضی و السخط بالمال و الولد جهلا" بمواقع الفتنه، و الاختبار في موضع الغنی و الاقتدار، فقد قال سبحانه و تعالی: «ایحسبون أنّما نمدّهم به من مال و بنین نسارع لهم في الخیرات، بل لا یشعرون » فإنّ الله سبحانه یختبر عباده المستکبرین في أنفسهم باولیائه المستضعفین في أعینهم.

(ع) النهج، الخطبه ۱۹۲/ شر، ج ۱۳ ص ۱۵۱

**إنّما ترزقون و تنصرون بالضعفاء**

ـ ابغوني في الضعفاء، فانما ترزقون و تنصرون بضعفائکم. (ر) کنز، خ ۶۰۱۹ / خ ۶۰۴۸

ـ انما ینصر الله هذه الامة بضعیفها، بدعوتهم و صلاتهم و اخلاصهم. (ر) منثو، ج ۱ ص ۲۳۷

**علی المستضعف أن لا یستکین و یستسلم للمستکبر الظالم**

معرکة المستضعفین مع المستکبرین:

"...- الذین یقولون ربّنا أخرجنامن هذه القریة الظالم أهلها..."[2]

"الاّ المستضعفین من الرجال و النساء و الولدان ..."[3]

"ـإنّ هؤلاء المستضعفین فقدوا النصیر و المعین و تقطّعت بهم أسباب الرجاء، فاستغاثوا بربهم، و دعوه لیفرّج کربهم و یخرجهم من تلك القریه (مکه) لظلم اهلها لهم، و یسخّرلهم بعنایته من یتولّی أمرهم و ینصرهم علی من ظلمهم، فیتمکنوا بذلك من الهجره الیکم و یرتبطوا بکم بأقوی الروابط ، و هي رابطة الایمان، فهي أقوی من رابطة الانساب و الاوطان، و ما کلّ احد من المسلمین قدر علی الهجره، فقد کانوا یصدّونهم عنها و یعذّبون مریدیها عذابا شدیدا، و ما شرع القتال الاّ لعدم حریة الدین، و ظلم المشرکین للمسلمین، **فالقتال قبیح و لا یجیزه العقل السلیم الاّ لازالة قبیح أشدّ منه ضررا**، و الامور بمقاصدها و غایاتها کما قال تعالی: "الذین ءامنوا یقاتلون في سبیل الله، و الذین کفروا یقاتلون في سبیل الطاغوت ..."، فلو ترك المؤمنون القتال لغلب الطغیان و عمّ الفساد "و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض"[4] ...

**من سنن الله: "الحق یعلو و لا یُعلیٰ علیه"**

(و قد جرت سنّة الله أنّ الحق یعلو و الباطل یسفل، و أنّ الذي یبق هو الاصلح و الامثل. فالذین یقاتلون في سبیل الله یطلبون ما تقتضیه سنّة العمران، و الذّین یقاتلون في سبیل الشیطان یطلبون الانتقام و الاستعلاء في الارض بغیر الحق، و تسخیر الناس لاغراضهم و شهواتهم، و سنن العمران تأبی ذلك فلا یکون لذلك قوة و لا بقاء إلاّ لنومة اهل الحق عن حقّهم، فاذا هم أفاقوا متن غفوتهم تغلّب الحق علی الباطل و ردّه خاسئاً محسورا)[5]

**المستضعف الفکري :**

"... إلاّ المستضعفون من الرجال و النساء ..."[6]

ـ في قوله تعالی (إلاّ المستضعفین ... ) هو الذي لا یستطیع الکفر فیکفر، و لا یهتدي سبیل الایمان فیؤمن، و من کان من الرجال و النساء علی مثل عقول الصبیان مرفوع عنهم القلم ـ[7]

ـ إنّ المستضعفین ضروب یخالف بعضهم بعضا، و من لم یکن من أهل القبله ناصبا فهو مستضعف ـ[8]

**لیسوا هولاء بمستضعفین**

ـ من عرف الاختلاف فلیس

---

۱- تفسیر المیزان ـ الصلامد الطباطبائي (ره) ج ص ۵۱

۲) النساء، ۷۵

۳) النساء ، ۹۷

۴) بقره، ۲۵۱

۵) تفسیر المراغی، ج ۵، ص ۹۲

۶) النساء، ۹۸ ـ ۹۹

۷) (فـر) ج ، ۷ ص ۱۵۹، مع ص ۱۵۷ ، فس ، ۱۱۴ /کا ، ج ، ص ۴۰۴

۸) ( صا) به ، ج ۷۲ ص ۱۵۹

بمستضعف.[١]

ـ لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أذنه و وعاها قلبه.[٢]

ـ عن سليمان بن خالد، عن ابي جعفر(عليه السلام)، قال: سألته عن المستضعفين، فقال: البلهاء في خدرها، و الخادم تقول لها، صلّي فتصلّي لا تدري إلاّ ما قلت لها، و الجليب الذي لا يدري الاّ ما قلت له، و الكبير الفاني، و الصّبي الصّغير، هؤلاء المستضعفون، فأمّا رجل شديد العنق جدل خصم يتولى الشراء و البيع، لا تستطيع أن تغبنه في شي، تقول: هذا مستضعف؟ لا، و لا كرامة ....[٣]

## عاقبة المستضعف في الله، المستضعف الحقيقي

قوله تعالى "و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الارض و نجعلهم ائمة و ...."[٤]

(المنّ ـ من كلام الراغب ـ: هو الثقل، و من تسمية ما يوزن به منّا، و المنّة: النعمة الثقيله، و منّ عليه منّاً: أي أثقله بالنعمة.

قال: و يقال ذلك على وجهين: أحدهما بالفعل كقوله: «و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا» أي نعطيهم من النعمة ما يثقلهم. و الثاني بالقول كقوله تعالى: «يمنّون عليك أن أسلموا ...» و هو مستقبح إلاّ عند كفران النعمة.

و تمكينهم في الارض اعطاؤهم فيها مكاناً يملكونه و يستقرّون فيه.

المستضعفون في الارض هم الذين يضطهدهم الاقوياء، و يتسلطون على أقواتهم و مقدّراتهم ظلماً و عدونا"، و الله سبحانه يمنّ عليهم بالحريه و الخلاص من الإضطهاد اذا جاهدوا و ثابروا و استماتوا من أجل حياتهم و كرامتهم تماماً كما يمنّ سبحانه على المريض بالشفاء اذا استعمل العلاج الصحيح، و على الفلاح بالثمر اذا عمل و اتقن.

إنّ لله سنّة في خلقه، و هي أن تجري الامور على أسبابها، و الغايات على وسائلها، و لن تجد لسنّة الله تبديلا ... فمن ركع للظالم خذله الله و أوكله إلى من ظلمه، حتّى و لو صلّى وصام و حجّ الى بيت الله الحرام، لانّه خذل الحق، و نصر الباطل، و ماله في الاخرة من خلاق.

و من ثار على الظلم و أهله، استمات من أجل كرامته نصره الله سبحانه على الظالمين و الطغاة، و إن كان كافراً، لانه التقى مع إرادة الله و أمره بهذا الجهاد و النضال...)[٥]

فإن صمود الشعوب العزّل أمام العتات من قوى الشرّ و الفساد لدليل قاطع على أنّ الله مع المظلومين المجاهدين الصابرين كائنا" من كانوا... حيث "إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم"[٦]

## احتجاج الضعفاء مع المستكبرين يوم القيامه:

قوله تعالى: " و إذ يتحاجّون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعا" فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار و قال الذين استكبروا إنّا كلّ فيها و إنّ الله قدحكم بين العباد"[٧]

"و حاق بآل فرعون سوء العذاب"، اذ يتحاجّون في النار، فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعا، و كان لازم ذلك أن تكفّونا في الحوائج و تنصرونا في الشدائد، و لا شدّه أشدّ مما نحن فيه، فهل أنتم مغنون عنّا نصيبا" من النار، و إن لم يكن جميع عذابها، فقد قنعنا بالبعض و هذا ظهور مما رسخ في نفوسهم في الدنيا من الالتجاء بكبريائهم و متبوعيهم من دون الله، يظهر من ذلك يوم القيامة، و هم يعلمون أنّهم في يوم لا تغني فيه نفس عن نفس شيئا و الامر يومئذ للّه، و له نظائر محكيّة عنهم في كلامه تعالى من كذبهم يومئذ و خلفهم و إنكارهم أعمالهم و تكذيب بعضهم لبعض و غير ذلك.

و قوله تعالى: "قال الذين استكبروا إنّا كلّ فيها إنّ الله قد حكم بين العباد"[٨]. جواب من مستكبريهم عن قوله و محصّله: إنّ اليوم يوم جزاء، لا يوم عمل، فالأسباب ساقطه عن التأثير، و قد طاحت منّا ما كنّا نتوهّمه لأنفسنا في الدنيا من القوة و القدرة فما لنا و حالكم ـ و نحن جميعاً في النار ـ واحده؟)[٩]

## من هو المستضعف (من خلال الروايات)؟

(في الدر المنثور أخرج ابي شيبه و ابن المنذر و ابن حاتم عن عليّ بن ابي

---

١) (صا) بح، ج ٧ ص١٦٢، مع
٢) (ع) خطبه ١٨٩
٣) بح، ج ٧٢، ص ١٦٢، مع، ش
٤) القصص، ٥
٥- تفسير الميزان ـ ج ١٦ ص ٦-١٠
٦) الرعد، ١١
٧ - غافر، ٤٧، ٤٨
٨ - غافر، ٤٧، ٤٨
٩- تفسير الميزان ـ ج ١٧ ص ٣٣٦

طالب(رض) في قوله تعالى: «و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الارض» قال : يوسف و ولده.

و في معاني الاخبار باسناده عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال : سمعت ابا عبدالله﴿عليه السلام﴾ يقول : إنّ رسول‌الله﴿صلى الله عليه و آله﴾ نظر الى عليّ و الحسن و الحسين﴿عليهم السلام﴾ فبكى و قال: إنتم المستضعفون بعدي، إنّ الله عزّوجلّ يقول: " و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا" فهذه الآيه جاريه فينا الى يوم القيامة

اقول: و الروايات من طرق الشيعه في كون الاية في أئمّه اهل البيت﴿عليهم السلام﴾ كثيره، و بهذه الروايه يظهر أنّها جميعا من قبيل الجري و الانطباق.

و في نهج البلاغه، عن الامام علي﴿عليه السلام﴾: لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها.... و تلا عقيب ذلك: " و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمّه و نجعلهم الوارثين "

و في النهج ، قال﴿عليه السلام﴾: و لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أذنه و وعاها قلبه.)[1]

## أثر الاستكبار و التكبّر على تصرّفات المجتمع، و دور الانبياء في مواجهته:

السنن الالهيّة ثابتة، و متكررة على مرّ الزمان " سنّة اللّه في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة اللّه تبديلا" [2] ...

فكما ذكرنا سابقا، إنّ جميع الانبياء و المرسلين و الاوصياء و الاولياء الصالحين و اجهوا الاستكبار بعد أن تعرّض لهم، و لم ينته ذلك، فهو قائم مادام الخطان قائمين (الخلافه و الشهاده)، و تكون النتيجه النهائيه ، على اساس وعد الله، هي: "و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الارض و نجعلهم ائمه و نجعلهم الوارثين"...

و قد تركت، و تترك هذه الحالة (الاستكبار و التكبّر) على المجتمع آثارا سيئه، و عواقب اسوأ... لنأخذ خير ثلاث نماذج من هذه الحالات التي مرّت على المجتمعات و الأمم الماضيه، من القرآن الكريم:

### ۱- تعرّض نمرود و مواجهته لخليل الله النبي ابراهيم﴿عليه السلام﴾ و نتيجه ذلك:

(و في كمال الدين: أبي و ابن الوليد معا عن ابن بريد عن ابن ابي عمير عن هشام بن سالم عن ابي بصير عن ابي عبدالله﴿عليه السلام﴾ قال: كان ابو ابراهيم منجّما لنمرود بن كنعان، و كان نمرود لايصدر إلاّ عن رأيه، فنظر في النجوم ليلة من الليالي فاصبح فقال: لقد رأيت في ليلتي هذه عجبا، فقال له نمرود: ما هو؟ فقال رأيت مولوداً في أرضنا هذه، يكون هلاكنا على يديه، و لا يلبث إلاّ قليلا حتى يُحمل به، فعجب من ذلك نمرود و قال: هل حمل به النساء؟ فقالا، لا، و كان فيما اوتي من العلم أنّه سيُحرق بالنار، و لم يكن اوتي أنّ الله سينجّيه ...)[3]

(فلما وضعت ام ابراهيم، أراد أبوه أن يذهب به الى نمرود، و بواسطه تدبير أمه، تمكنت من حفظه و جعلته في الغار، و شبّ بسرعة كثيره (فلم يزل ابراهيم في الغيبة مخفيا بشخصه، كاتماً لأمره، حتى ظهر، فصدع بأمر الله تعالى ذكره، و أظهر الله قدرته فيه) [4].

(ثم خرج عنه بعد حين، فحآجّ أباه و قومه في أمر الاصنام و الكوكب و القمر و الشمس و حآجّ الملك في دعواه الربوبيه ـ الايات ۷۴ - ۸۱ من سوره الانعام ـ

قالوا حرّ قوه و انصروا آلهتكم، فبنوا له بنيانا و أسعروا فيه جحيماً من النار، و قد شارك في أمره الناس جميعا و ألقوه في الجحيم، فجعله الله بردا و سلاما عليه، و أبطل كيدهم (الانبياء: ۵۷-۷۰، الصافات: ۸۸-۹۸)، و قد أُدخل في خلال هذه الاحوال على الملك، و كان يعبده القوم و يتخذونه ربّا، فحآجّ ابراهيم في ربّه، فقال ابراهيم: ربي الذي يحيي و يميت، فغالطه الملك و قال: أنا أُحيي و أُميت، كقتل الاسير و اطلاقه، فحاجّه ابراهيم بأصرح ما يقطع مغالطته فقال: إنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فآت بها من المغرب فبهت الذي كفر(البقره: ۲۵۸)، ...

ثم لمّا انجاه اللّه من النار، أخذ يدعو الى الدين الحنيف، دين التوحيد، فآمن له شرذمة قليلة، قد سمّى اللّه تعالى منهم لوطا، و منهم زوجته التي هاجر بها، و قد كان تزوج بها قبل الخروج من الارض الى الارض المقدّسه )[5]

---

۱- تفسير الميزان ـ ج ۱۶ ص ۱۰

۲- الاحزاب ،۶۳

۳- تفسير الميزان ج ۷ ص ۲۰۵-۲۰۶

۴- نفس المصدر ج ۷ ص ۲۰۷

۵- نفس المصدر السابق، ج ۷، ص ۲۰۷

**٢- تعرّض فرعون مصر و هامان و قارون للنبيّ موسى(عليه السلام) - و مواجهته(عليه السلام) لهم :**

(قوله تعالى: "إلى فرعون و هامان و قارون ، فقالوا ساحر كذّاب»[١]، فرعون جبّار القبط و مليكهم، و هامان وزيره، و قارون من طغاة بني اسرائيل ذو الخزائن المليئه؟ و انما اختص الثلاثه من بين الامتين بالذكر لكونهم اصولاً ينتهي اليهم كلّ فساد و فتنة فيها)[٢]

**عاقبة المتكبرين :**

(لقد بغى فرعون على بني اسرائيل، و استطال بجبروت الحكم و سلطانه؛ و لقد بغى قارون عليهم و استطال بجبروت العلم و المال. و كانت النهايه واحدة، هذا خسف به و بداره، و ذلك اخذه اليمّ هو و جنوده. و لم تكن هنالك قوه تعارضها من قوى الارض الظاهرة، انّما تدخلت يد القدرة سافرة فوضعت حدّا للبغي و الفساد، حينما عجز الناس عن الوقوف للبغي و الفساد)[٣]

**مواجهه النبي موسى(عليه السلام) لفرعون:**

و قد طلب النبي موسى(عليه السلام) من فرعون أن يترك بني اسرائيل لحالهم، و يرجعون لعبادة الله خالقهم بدلاً" عنه "أنا ربكم الأعلى" حيث قال: " و تلك نعمة تمنّها عليّ أن عبّدت بني اسرائيل"[٤]

(حيث يقف الايمان القوي في وجه الطغيان الباغي، ثمّ ينتصر الايمان و ينخذل الطغيان في النهايه، فأمّا هنا فليس هذا المعنى هو المقصود؛ إنّما المقصود: إنّ الشرّ حين يتمخّض يحمل سبب هلاكه في ذاته، و البغي حين يتمرّد لا يحتاج الى من يدفعه من البشر، بل تتدخل يد القدرة و تأخذ بيد المستضعفين المعتدىٰ عليهم، فتنقذهم و تستنفذ عناصر الخير فيهم، و تربّيهم و تجعلهم أئمّة و تجعلهم الوارثين)[٥]

**٣- تعرّض المشركين - مشركي مكة - للنبي محمد(صلى الله عليه وآله)، و مواجهته(صلى الله عليه وآله) لهم :**

(بعد أن وبّخ اللّه من ارتدّ عن دينه من المؤمنين خوف الفتنة، عطف الكلام على بقية المؤمنين ممّن استضعفه المشركون بمكة و كانوا يهددونهم بالفتنة و العذاب، فأمرهم أن يصبروا و يتوكّلوا على ربّهم، و أن يهاجروا منها، إنْ أشكل عليهم أمر الدين و إقامة فرائضه، و أن لا يخافوا أمر الرزق، فإن الرزق على الله سبحانه، و هو يرزقهم إن ارتحلوا و هاجروا كما كان يرزقهم في مقامهم...

قوله تعالى: "يا عبادي الذين ءامنوا إنّ أرضي واسعة فإياي فاعبدون"[٦]، توجيه الخطاب الى المومنين الذين و قعوا في أرض الكفر لا يقدرون على التظاهر بالدين الحق و الاستنان بسنّته، و يدلّ على ذلك ذيل الاية: (إنّ أرضي واسعة): كناية عن إنّه إن امتنع في ناحية من نواحيها أخذ الدين الحق و العمل به، فهناك نواحٍ غيرها لا يمتنع فيها ذلك، فعبادته تعالى وحده ليست بممتنعة على أي حال، ....

و قوله تعالى: "فإياي فاعبدون": لاتعبدوا غيري، بل اعبدوني

و في الايات: "الذين امنوا و على ربهم يتوكلون. و كأيّن من دابّة لا تحمل رزقها..."[٧] تطييب لنفس المؤمنين، و تقوية لقلوبهم أنّهم لو هاجروا في اللّه أتاهم رزقهم أينما كانوا، و لا يموتون جوعاً، فرازقهم ربّهم دون أوطانهم.

و في تذليل القصّة بهذه الايات الاربع: "و لقد نجينا بني إسرائيل... الى قوله تعالى بلاء مبين"[٨] نوع تطييب لنفس النبي(صلى الله عليه وآله) و إيماء الى أنّ اللّه سبحانه و تعالى سينجّيه و المؤمنين به من فراعنة مكة و يختارهم و يمكّنهم في الارض فينظر كيف يعملون"

في تفسير القمي، و في روايه ابي الجارود عن ابي جعفر(عليه السلام) في قوله تعالى: "يا عبادي الذين امنوا إنّ أرضي واسعة..." يقول: لا تطيعوا أهل الفسق من الملوك، فإن خفتموهم أن يفتنوكم عن دينكم فإن أرضي واسعة، و هو يقول: "فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض" فقال: "ألم تكن أرض اللّه واسعة فتها جروا فيها ..."

و في المجمع: قال أبو عبدالله(عليه السلام): معناه اذا عصي اللّه في أرض أنت بها

---

١- غافر ،٢٤

٢-تفسير الميزان - ج ٧ ص ٣٢٧

٣- تفسير في ظلا القران - سيد قطب - ج ١٠ ص ٣١٩

٤) الشعراء،٢٢

٥-في ظلال القران - ج ٢٠ ص ٣٢١

٦) العنكبوت ، ٥٦

٧) العنكبوت ، ١٤٤-١٤٦

٨-الدخان ، ٣٠-٣٣

فاخرج منها الى غيرها)[1]

**عاقبة من تمنعه امواله و مصالحه من الهجرة، و قاعدة الاستثناء منهم:**

(كنّا مستضعفين، يستضعفنا الاقوياء، كنّا اذلاء في الارض، لانملك من امرنا شيئاً...

.... و تنفر كلّ نفس أن يكون هذا موقفها في لحظة الاحتضار، بعد أن يكون هذا موقفها طوال الحياة ... فإنّ الملائكة لايتركون هولاء المستضعفين الظالمي أنفسهم، بل يجيبونهم بالحقيقة الواقعة؛ و يؤنّبونهم على عدم المحاولة، و الفرصة قائمة: "قالوا: ألم تكن أرض اللّه واسعة فتهاجروا فيها؟!)

إنّه لم يكن العجز الحقيقي هو الذي يحملهم على قبول الذل و الهوان و الاستضعاف و الفتنة عن الايمان ... إنّما كان هناك شي آخر... حرصهم على أموالهم و مصالحهم و أنفسهم يمسكهم في دارالكفر، و هناك دارالاسلام. و يمسكهم في الضيق و هناك أرض اللّه الواسعة، و الهجرة إليها مستطاعة؛ مع احتمال الالام و التضحيات ... و تكون هذه نهايتهم "فأولئك مأواهم جهنم و ساءت مصيرا" ثم يستثني من لا حيلة لهم في البقاء في دار الكفر؛ و التعرّض للفتنة في الدين، و الحرمان من الحياة في دار الاسلام من الشيوخ الضعاف، و النساء و الاطفال، فيعلّقهم بالرجاء في عفو اللّه و مغفرته و رحمته، بسبب عذرهم البيّن و عجزهم عن الفرار:

"إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء .... و كان اللّه عفوّاً غفورا"

**حكم الله و سنّته الماضية على مرّ الزمان**

(و يمضي هذا الحكم الى آخر الزمان، متجاوزاً تلك الحالة الخاصة التي كان يواجهها النص في تاريخ معيّن، و في بيئة معينة ... يمضي حكماً عاماً، يلحق كل مسلم تناله الفتنة في دينه في أية أرض، و تمسكه أمواله و مصالحه أو أقربائه و صداقاته، او إشفاقه من آلام الهجرة و متاعبها. متى كان هناك ـ في الارض في اي مكان ـ دارللاسلام؛ يأمن فيها على دينه، و يجهر فيها بعقيدته، و يؤدي فيها عباداته، و يحيا حياة إسلامية في ظل شريعة اللّه، و يستمتع بهذا المستوى الرفيع من الحياة)[2]

**و تبقى سنة اللّه في عباده، و لكن بأشكال مختلفه الظواهر**

و يبقى العالم البشري بشكل محورين، قطبين، جبهتين: احدهما مقابل الاخر، محور الاستكبار المتمثّل اليوم بأمريكا، الشيطان الاكبر التي تقول ضمنياً، و من خلال أعمالها: (أنا ربكم الاعلى)؛ و محور يمثل الاسلام، و لكن المحمّدي، و ليس الأمريكي حسب تعبير الامام الخميني﴿ره﴾ المتمثّل اليوم بالجمهوريه الاسلاميه في ايران، (و تبقى المعركه التي شنّها اليهود على الاسلام و المسلمين منذ ذلك التاريخ البعيد لم يخب اوارها حتى اللحظه الحاضرة، بنفس الوسائل، و نفس الاساليب، لا يتغير إلاّ شكلها؛ اما حقيقتها فباقية، و اما طبيعتها فواحدة، و ذلك على الرغم من أنّ العالم كله كان يطاردهم من جهه الى جهة، و من قرن الى قرن، فلا يجدون لهم صدرا" حنوناً إلاّ في العالم الاسلامي المفتوح الذي ينكر الاضطهادات الدينية و العنصرية، و يفتح ابوابه لكل مسالم لايؤذي الاسلام و لا يكيد للمسلمين)[3]

و تبقى هذه المعركه مستمره حتى يحكم‌الله بيننا و بينهم بالحق و "يمنّ على الذين استضعفوا في الارض و يجعلهم أئمّة و يجعلهم الوارثين"، و يظهر صاحب هذه الارض و إمامها و وارثها الحجةبن الحسن، المهدي القائم المنتظر﴿عجل‌الله تعالى‌فرجه الشريف﴾ ـ و يحق الله الحق على يبده و ينصره على القوم الظالمين، ... و نحن نقول: الحمدلله الذي أنجز وعده و نصر عبده و أعزّ جنده.

**إراده الله هى المفعولة و ليس ارادة المستكبر**

(إنّ فرعون علا فى الارض ... إنّه كان من المفسدين» ولكن الله يريد غير ما يريد فرعون؛ و يقدر غير ما يقدر الطاغيه. و الطغاه البغاة تخدعهم قوتهم و سطوتهم و حيلتهم، فينسون ارادة الله و تقديره، و يحسبون أنهم يختارون لانفسهم ما يحبون، و يختارون لأعدائهم ما يشاؤون و يظنون أنّهم على هذا و ذلك قادرون.

و الله يعلمه هنا ارادته هو، و يكشف عن تقديره هو؛ و يتحدى فرعون و هامان و جنودهما، بان احتياطهم و حذرهم لن يجديهم فتيلا.)[4]

---

۱-الميزان ج ۱۸ ص ۱۳۹

۲-الميزان ج ۵ ص ۴۹۹

۳) تفسير في ظلال القرآن ـ السيد قطب ج ۱ ص ۷۷-۷۸

۴- في ظلال القران ـ ج ۲۰ ص ۳۲۴